الفصل الثالث

التقليل من شأن دور المرأة كأم وزوجة والإدعاء بعدم أهميتهما

توطئة :

المبحث الأول : اعتبار الزواج والإنجاب وتربية الأولاد أعمالا إضافية وليست أساسية .

المبحث الثانى : الاستهانة بوظيفة المرأة كأم والسخرية منها .

المبحث الثالث : الادعاء بأن تربية الأطفال من واجبات المجتمع ومحدودية دور الأم .

المبحث الرابع : دعوى أن عمل المرأة للمشاركة فى التنمية ومساعدة الأسرة .

التقليل من شأن دور المرأة كزوجة وأم والادعاء بعدم أهميتها

توطئة :

وظيفة المرأة كزوجة وأم وظيفة أصلية وأصيلة ، وهى تولد مع الوليدة عند نعومة الأظافر ، تتدرب البنت تلقائيا وبدون توجيه على اللعب بالعروسة الصغيرة، ومعاملتها بحنان فياض وكأنها ابنة جميلة ، لا كدُمية جميلة ، بل إنها تحاول وإرضاعها ، وتصلح من طريقة نومها ، فالطفلة خُلقت كأم صغيرة ، حتى يُعدها خالقها لأن تكون أمًا كبيرة ، وكذلك تهتم الطفلة بزينتها وتبقى أمام المرآة لساعات طويلة للتزين ، وتحلم بأن تكون عروسا . . . إلخ ، كل ذلك قبل أن تفهم المعانى الكاملة لذلك كله ، ولكنها الفطرة السليمة .

وحيث إن دعاة التحرر يعلمون علم اليقين أهمية دور المرأة فى الحياة كزوجة وأم وابنة ، وأن التحرر ـ حسب دعوتهم ـ سيخرجها عن هذا الدور إلى أدوار أخرى لم تخلق لها ، فإن من البدهى ، أن يحاول دعاة التحرر الإساءة إلى وظيفة المرأة كأم ويتخذون لتحقيق ذلك عدة محاور منها :

ـ اعتبار الزواج والإنجاب وتربية الأولاد أعمالاً إضافية وليست أساسية .

ـ الاستهانة بوظيفة المرأة كأم والسخرية منها .

ـ الادعاء بأن تربية الأطفال من واجبات المجتمع وأن دور الأم محدود جدًا.

ـ الادعاء بأن عمل المرأة للمشاركة فى التنمية ومساعدة الأسرة .

هذا، وسوف نقوم فى هذا الفصل بعرض آراء دعاة المرأة فى ذلك ونقدها.

المبحث الأول

اعتبار الزواج والإنجاب وتربية الأولاد أعمالاً إضافية وليست أساسية

يهدف دعاة تحرر المرأة فى الفكر الحديث إلى إثبات أن الوظيفة الأساسية للمرأة ليست البيت كزوجة وأم ومربية أجيال ، وهدفهم من ذلك اعتبار أن الوظيفة الأساسية هى العمل خارج البيت .

وتقول فريدة النقاش عن ذلك : « وكون أن المرأة تختلف عن الرجل فى الوظائف الطبيعية التى تقوم بها ، لا يعنى أنها كائن أدنى ، بل يعنى أنها إنسان يقوم بمهمات إضافية لصالح المجتمع كله فى شكل حمل وإنجاب ، وهو ما ينبغى أن يلقى تقديرًا من المجتمع فى شكل خدمات ولا يصبح عقبة فى طريق تقدم المرأة ، وتحققها الإنسانى والمهنى على كل المستويات ، سواء اختارت أن تكون امرأة عاملة أو أن تتفرغ لتربية الأولاد » (١).

ونحن نقول :

إن إعداد الله للمرأة لتقوم بوظيفة الزوجة والأم ومربية النشء ليس امتهانًا لها ، إلا إذا فشلت فى هذه الوظيفة الأساسية وليست الإضافية التى خلقها الله من أجلها ، والامتهان والمهانة لا تلحق بالإنسان إلا إذا فشل فى أداء وظيفته ، وكيف يدعى صاحب عقل سليم أن الحمل لمدة تسعة أشهر والولادة والرضاع لمدة سنتين تقريبا ، وتربية النشء لمدة البلوغ والاعتماد على النفس لسنوات عديدة هو عمل إضافى ؟!

إن ترك المرأة لوظيفتها الطبيعية الأساسية وتخلصها من أنوثتها وأمومتها لهو بداية نهاية خراب العالم ، إن الحق تبارك وتعالى جعل الأمومة نعمة تستوجب

---

(١) فريدة النقاش : حدائق النساء ص ٢٣ .

الشكر من الأم ومن المجتمع فقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

والآية توضح مشقة المرأة فى أداء وظيفتها الأولى والأساسية وهى نعمة متبادلة ، فقيام المرأة بحسن الأمومة يستوجب أن تشكر الله عليها ، وحُسن تربية النشء يستوجب أن يشكر الأبناء الله عليها وأن يشكروا الأم والأب عليها .

ومن ثم فواجب المجتمع هو تقديم الخدمات الأساسية لعملها الأساسى الذى خلقت من أجله وهو الأمومة ، ثم مساعدتها الإنسانية إذا اضطرت للعمل خارج البيت ، ما دام وفقا لمقتضى الشريعة الإسلامية ، كأن يكون المجتمع فى حاجة إلى عملها ، أو كانت هى فى حاجة ماسة للعمل مع مراعاة مناسبة العمل لها والالتزام بتعاليم الإسلام فى مباشرته وأدائه .

وهذه الحقيقة لا تختلف عليها الأديان السماوية والقوانين الأرضية فها هو القس فايز تادرس يقول :

* من المبادئ الهامة التى قامت عليها حركة تحرير النساء أن قهر النساء يبدأ بتحويلهن إلى أمهات ، فإنهن يدخلن تحت سيادة الرجل وسجن البيت ، والمرأة لا تتحرر فعلاً فى نظرهن إلا إذا تخلصت من سجن الأسرة والأمومة.

ـ وهناك كتب كثيرة ظهرت فى هذا الموضوع تُشجع المرأة على استقلاليتها بحياتها وعدم تقيدها بالحياة مع الرجل فى بيت واحد ، أما النساء المتزوجات فعلاً فيجب أن يظهرن غضبهن على الرجل ويرفضن الحياة مع الزوج إلا بعد عمل اتفاقية مكتوبة تتضمن توزيع جميع المسؤوليات بالتساوى بين الرجل والمرأة ، بما فى ذلك أعمال الطبخ ورعاية الأطفال وحرية استقبال الضيوف . . . إلخ .

* كان من نتيجة ذلك أنه أصبح الدفاع عن الشذوذ الجنسى أمرًا معلنًا ومشروعًا ، وطالب الشواذ بكافة حقوقهم . . . وبعضها يعف القلم عن كتابته ، وضربوا عرض الحائط بتعاليم الكتاب المقدس .

هذا مجرد عينات لما تحمله حركة تحرير المرأة ، فإذا بدأنا بحرف « الألف » . . فأخشى أننا سوف نضطر للسير فى باقى الحروف « الباء » و « التاء » إلى آخر الشوط سيداتى العزيزات مهلاً [1].

إذن فالادعاء بأن عمل المرأة خارج بيتها هو الأصل وأن الأمومة هى العمل الإضافى . . هو دعوة صريحة للفجور . . باسم تحرر المرأة !!

والإسلام لا يرى عيبا فى أنوثة المرأة تمييزاً أو تفضيلا فى ذكورة الرجل ، وكلاً وهبه الله من المزايا والخصائص ما يؤهله لحسن القيام بمهمته فى الحياة ، فالحكم العدل يقول : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢] .

إن بداية التبويض لدى المرأة من سن البلوغ حتى سن اليأس ، بصفة منتظمة شهريا ولمدة سنوات قد تتجاوز الربع قرن . لهو خير دليل ساطع على إعداد الله الخالق للمرأة لتكون زوجة وأمًا ، أولاً وثانيا وأخيراً . وأنه كتب الشقاء والعمل على الرجل فقال تعالى محذراً آدم من الشقاء فى الدنيا والعمل والكد والسعى ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: ١١٧] ولفظ « فتشقى» مفرد وهذا يوضح أنه يختص بآدم وحده .

(١) القس د. فايز تادرس : مقال بمجلة أجنحة النسور العدد (٣٩٨) نوفمبر سنة ١٩٩٥م.

المبحث الثانى

الاستهانة بوظيفة المرأة كأم والسخرية منها

إن النظر للأمومة فى أكمل معانيها كعمل ثانوى لا قيمة له ، أو كعمل إضافى يؤدى بعد العمل الأساسى . أو قد لا يؤدى ، واعتبار تربيه الأطفال مهمة اجتماعية خالصة ، ومحاولة إشراك الرجل فى مهام الأمومة التى لا يستطيعها العصبة من الرجال ، كل ذلك أدى إلى نتيجة حتمية ـ فى نظر دعاة التحرر ـ ألا وهى الاستهانة بالأمومة ، ودعوة النساء لنبذ تضحياتها اللازمة لتحقيق أموميتها ، حيث إن التضحية لا طائل منها ولا شكر أو عرفان عليها ـ حسب ادعائهم .

وتقول فريدة النقاش فى ذلك : « صفات الأم الحسنة المثالية كالتالى : امرأة جميلة الملامح ، مستعدة للتضحية من أجل أطفالها إلى درجة التنازل عن كل اهتمام بمصيرها الخاص كامرأة، ولتكرس كل طاقاتها نحو حفظ أولادها واستمرار حياتهم وحمايتهم من الأخطار التى تهددهم بها الأقدار أو المصائب أو الأذى . وهذه الأم المعتبرة دائما أنها المسؤولة وحدها عن المهام التربوية، تدعم نمو طفلها، وتدفعه نحو خوض المغامرات . . . وللأسف فإن هذه الصور تأخذ بعين الاعتبار الدور الرئيسى لعلاقة الطفل بأبيه، وللعلاقة بين كل أم «امرأة» برجلها»[1].

وتتأسف « الكاتبة » عن هذا الوضع المخزى من وجهة نظرها فتقول : « إن صورة الأم الجميلة الحسنة الصافية المضحية المبتسمة التى تطهو جيداً وتخيط وتدبر البيت حانية على المتألم متجردة كلية من علاقاتها كحبيبة ومن رغبتها كفرد راشد هذه الصورة ما زالت تعلق على ناصيات القلوب . . » [2].

(١ ، ٢) فريدة النقاش : حدائق النساء ص ٨٢ ، ومرجعها : الكاتبة « فرانسوا دولتو » الطبيبة النفسية .

وتوافق د. نوال السعداوى هذا الفكر فتقول : « إن تربية الطفل هى العملية التى تربط فى حياة الأم بين ما هو طبيعى وما هو اجتماعى ، ومن أجل أن يصبح الولد رجلاً ناضجًا فإنه يضحى بأمه وينفصل عنها ليصبح شبه أبيه ، وينسى تماما أنها هى التى ولدته ، وينسى الذكر تمامًا أن أمه هى الأصل ، ويتصور أن الأب هو الأصل » (١) .

ونفس هذا الفكر قاله قاسم أمين من قبل ولكن بصورة غير مباشرة أى من وراء حجاب فقال : « يجب أن تربى المرأة على أن تكون لنفسها ـ أولا ـ لا لأن تكون متاعا لرجل ربما يتفق لها أن تقترن به مدة حياتها .

يجب أن تربى المرأة على أن تدخل فى المجتمع الإنسانى وهى ذات كاملة لا مادة يشكلها الرجل كيفما شاء .

يجب أن تربى المرأة على أن تجد أسباب سعادتها وشقائها فى نفسها لا فى غيرها » (٢) .

والرد على هذه الأفكار المريضة قد جاء من أعرابية من عهد الجاهلية (٣) أى منذ خمسة عشر قرنا تقريبا حيث أوصت ، بنتها قائلة :

« إن الوصية يا بنيتى لو تركت لفضل أدب لتركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهم إليها كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال، أى بنية إنك فارقت الجو الذى فيه خرجت ، وخلفت العش الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبًا ومليكًا ، فكونى له أمة ، يكن لك عبدًا وشريكًا .

يا بنية احملى عنى عشر خصال تكن لك ذخرًا وذكرًا :

الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه

---

(١) د / نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص ١٠٥ .

(٢) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص ٧٢ .

(٣) هى أمامة بنت الحارث .

والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضة، والاحتفاظ ببيته وماله ، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاى على العيال والحشم حصن التدبير ، ولا تفشى له سرًا ، ولا تعصى له أمرًا ، فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره وإن عصيت أمره أوغرت صدره .

ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان كارهًا ، والاكتئاب عنده إن كان فرحًا ، فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير ، وكونى أشد ما تكونين له إعظامًا يكن أشد ما يكون لك إكرامًا ، وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له موافقة ، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تجدين حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت » (١) .

ويلاحظ أن هذه الوصية رغم إيجازها ، فإن دعاة التحرر فى العصر الحديث أصحاب الدرجات العلمية العالية ، والأفكار السطحية الهابطة ، لن يستطيعوا الإتيان بمثلها ولو اجتمعوا لذلك فالوصية تشمل :

ـ حكمة الله من خلق الذكر والأنثى وهى الحاجة المتبادلة للإشباع الجنسى والعائلى .

ـ التزين للزوج وعدم الانشغال عن أنوثتها بأمومتها .

ـ مراعاة حسن التبعل من أمانة وصدق ووفاء واحترام وتبجيل متبادل .

ـ وتنطق الوصية بأعلى وأقوم وصية زوجية فى كلمات قليلة : « كونى له أمة ، يكن لك عبدًا وشريكًا » .

ـ إن العلاقة الزوجية تفاهم واحترام وتقديس وتبجيل مشترك لا علاقة تنافر واستهزاء واستهانة .

---

(١) توفيق يوسف الواعى : النساء الداعيات ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

« هؤلاء النسوة زوجات العظماء والملوك ، وأمهات العظماء والملوك .

أما التافهات اللاهيات الناشزات فهن جرائم في البيوت وآثام في المجتمعات ولعنات على الأزواج والأولاد .

أما المناديات اليوم بالحرية الفاجرة والتمرد الضال والتقليد الأعمى فهن زوجات الهيبز وأمهات صرعى المخدرات والإدمان ، وربيبات الهلاك والفجور .

أما المناديات اليوم بالحقوق النسائية والمساواة النسائية فهم لعبة الاستعمار ودمى أعداء الأمم ، وشواذ وعوانس المجتمعات اللاهية الضائعة .

لا بأس بالمساواة ولكن فيما أحل الله وشرع وفيما ينفع ولا يضر ، ويسعد ولا يشقى ويقوى الصلات بين الأمة لا ما يقطعها ويجعلها حربًا على بعضها ويخرب الأسرة ويصنع الشقاق بين الرجل والمرأة فى الأسرة والمجتمع .

المساواة بوحي من الإنسانية لا بدافع من الشيطانية وبضوابط من الإيمان لا بانسياح من أعداء الإسلام ، المساواة الإسلامية التي فرضها ربنا وحضنا عليها ، لا ما يملى علينا سماسرة الضياع ورواد التهلكة » (١) .

وهاهى امرأة أخرى توصى ابنها فتقول : « أى بني : إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين ، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضًا ، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام وقلما اعتورت السهام غرضًا إلا كلمته . وإياك والجود بدينك والبخل بمالك ، وإذا هززت فاهزز كريمًا يلين لهزتك ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها ، ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت منه فاجتنبه فإن المرء لا يرى عيب نفسه ومن كانت مودته بشره ، وخالف منه ذلك فعله ، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها » (٢) .

إن وظيفة الأمومة ثم الأبوة من نعم الله على البشر ، التى يجب أن يكون حمدها بآدائها طبقا لشرع الله ، وقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل : ٧٢] .

---

(١) د . توفيق يوسف الواعى : النساء الداعيات ص١٦٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٨ .

المبحث الثالث

الادعاء بأن تربية الأطفال من واجبات المجتمع ومحدودية دور الأم

من البديهى أن الادعاء بإلغاء أو تقليص دور الأم فى التربية واعتبار هذا الدور دورًا ثانويا إضافيا ، يستوجب وجود بديل للأم للقيام بمهامها ـ حسب اعتقاد دعاة التحرر ـ وهذا البديل الذى أجمع عليه هؤلاء الدعاة ، الزوج أو الرجل والمجتمع وتقول د. نوال السعداوى فى ذلك :

« منذ نشوء العبودية قامت فكرة سمو الذكر على الأنثى على التضحية بالأم من أجل أن يكتسب ابنها الرجولة أو الدور الاجتماعى والثقافى والسياسى للذكر.

لكن الأمومة قسمان : الولاد وهى عمل من أعمال الطبيعة ، ورعاية الطفل وهى عمل من أعمال المجتمع والقيم الثقافية السائدة ، إن الفصل بين البيولوجى والطبيعى لا يمكن أن يحدث إلا نظريا فقط » (١) .

وتنادى فريدة النقاش بنفس الفكر فتقول : « ومن أجل تقوية الحجج التى تدعو لعودة المرأة إلى البيت يجرى الاستنجاد بطبيعة المرأة من جهة ، وبمهمتها الأساسية من جهة أخرى فى تربية الأجيال القادمة تربية سليمة ، وحماية هذه الأجيال من أشكال الابتذال والثقافات الوافدة ومخاطر الإدمان والانحراف ، وكأن هذه المهمات كلها ليست مهمات اجتماعية متكاملة لابد أن تنهض بها كل المؤسسات الإعلامية والتربوية والثقافية مجتمعة ؛ لأن الأسرة مهما كانت قوتها وتماسكها فهى ليست إلا مؤسسة واحدة يتراجع نفوذها أمام قوة المؤسسات الأخرى التى تسهم فى عملية التنشئة الاجتماعية » (٢) .

هذا ، وقد دعا الجميع لضرورة مشاركة الرجل فى تربية الأولاد مع المرأة سواء بسواء فتقول فريدة النقاش : « نتائج العلم الاجتماعى قد أثبتت أن

---

(١) د. نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص ١٠٤ .

(٢) فريدة النقاش : حدائق النساء ص ٧٤ .

الاختلافات البيولوجية بين الرجل والمرأة لا ترتب أى فروق فى القدرات الذهنية أو إمكانية اكتساب المهارات والمعارف فى كل الميادين ، وممارسة كل أنواع العمل دون استثناء ، شرط أن يلعب المجتمع دوره فى مساندة المرأة حتى تؤدى وظائف الأمومة والعمل فى آن واحد ، ليس بإنشاء دور الحضانة ورياض الأطفال على نطاق واسع . . . وإنما أيضا بتغيير أسس التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة لتصبح رعاية الأطفال وإدارة شؤون الأسرة عملاً مشتركًا يقوم به الزوجان على قدم المساواة » (١) .

وتؤكد على دور المجتمع والرجل الهام والأساس فى تربية الأولاد فتقول : « وعلى عكس كل ما توصل إليه علم النفس الاجتماعى من حقائق ثابتة حول التربية ، من أن الأبناء الذين يشارك الآباء والأمهات على قدم المساواة فى تربيتهم هم أكثر صحة وشعورًا بالأمن من الناحية النفسية ، فإن منطق الجماعات الإسلامية وكل الرافضين لعمل المرأة يفترض أن التربية هى مهمة المرأة ، بل إنهم يغفلون خطورة الدور الذى يقوم به المجتمع بكافة مؤسساته القوية الأخرى، إضافة لمؤسسة الأسرة مثل التعليم والإعلام والنوادى الرياضية والاجتماعية . . .إلخ فضلا عن أن الأم التى يدعون لتفرغها للأبناء هى قادمة بدورها من ثقافة وعلاقات المجتمع » (٢) .

وسنترك لقاسم أمين إيضاح أهمية المرأة للعائلة : « المرأة ميزان العائلة، فإن كانت منحطة احتقرها زوجها وأهلها وأولادها وعاشوا جميعًا منحلين لا يرتبط بعضهم ببعض ولا يعرفون نظاما ولا ترتيبا فى معيشتهم فتفسد آدابهم وعوائدهم، وإن كانت على جانب من العقل والأدب هذبت جميع العائلة » (٣) .

وعن فن إدارة المنزل يقول قاسم أمين : « والحقيقة أن إدارة المنزل صارت فنا واسعًا يحتاج إلى معارف كثيرة مختلفة ، فعلى الزوجة وضع ميزانية الإيراد

---

(١) فريده النقاش : حدائق النساء ص ٨٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩ .

(٣) قاسم أمين : تحرير المرأة ص ١٠٤ .

والمنصرف . . . وعليها مراقبة الخدم . . . وعليها أن تجعل بيتها محبوبًا لزوجها فيجد فيه راحته ومسرته إذا أوى إليه ، فتحلو له الاقامة فيه ، ويلذ له المطعم والمشرب والمنام . . . ، وعليها ـ وهو أول الواجبات وأهمها ـ تربية الأولاد جسمًا وعقلا وأدبًا . . . إن الأولاد صناعة الوالدين وإن الأمهات لهن النصيب الأوفر فى هذه الصناعة » .

وعن أهمية المرأة لرعاية وتنشئة الأبناء الأولى ، قبل مغادرة البيت لمواجهة المجتمع يقول قاسم أمين : « إن التربية الجسمية للولد وحدها تستدعى معارف كثيرة . . . فعلى الأم أن تعرف أفضل الطرق لتغذية الأطفال ، لأن النظام فى نمو الجسم يرتبط دائمًا بنظام التغذية . . . . وعلى الأم أن تعرف كيف تقى جسم ولدها من أعراض الحر والبرد ، وما هو الماء الذى ينبغى استعماله فى نظافة جسمه من حار أو فاتر أو بارد ، وإن للهواء والشمس أثرًا حميدًا فى الصحة . . . ثم يجب عليها أن تكون على علم تام بنفس الطفل ووظائف قواه العقلية والأدبية» (١) .

وعن دور الأم فى التربية العقلية يقول : « فبالوراثة يكسب الطفل استعدادًا لكل ميل كان عليه الوالدان صالحا كان أو فاسدًا ، وبالتربية يمتلئ ذهن الطفل بالصحة الواردة عليه من الإحساس وبأثرها فى نفسه ألمًا كان أو لذة ، وتعرض حسه لقبول هذه الصور موكول إلى إرادة مربية ، وهو الذى يُريه ويُسمعه ويذيقه ويفيده كل معلوم ، وهو الذى يعرض على وجدانه من العواطف ما يراه لائقًا به . . . » (٢) .

وبعد عرض أفكار قاسم أمين وهو الرائد الأساس لمطالب تحرر المرأة نستطيع القول : إن هذه الوظائف السابقة التى تستمر من لحظة الولادة إلى سن البلوغ على الأقل هى وظائف الأم بصفة أساسية وتحت إشراف الأب بصفة فرعية ، أما دور مؤسسات المجتمع الأخرى فإنه يبدأ على الأقل ـ حديثا ـ فى سن ما بعد الإدراك أى التاسعة أو العاشرة وذلك لانتشار وسائل الإعلام المرئية على وجه

(١) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٢) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٤٧ ، ٤٨ .

الخصوص ، ودخولها كل بيت بلا استئذان ، وهذه الوسائل تستوجب استمرار الرعاية العقلية والفكرية والدينية من سن الإدراك حتى المراهقة مروراً بسن البلوغ، فحاجة البيت إلى المرأة تعاظمت وتزايدت عن ذى قبل ، خاصة بعد اهتمام وزارات التربية والتعليم بالتعليم أولاً ثم التربية . . . . أخيراً .

فإن تم الاعتماد على المجتمع ومؤسساته فى التربية ضاع النشء ودفنت الفضيلة بعد موت الأخلاق .

خاصة بعد تفشى العادات الغربية الغريبة عن أخلاقياتنا الشرقية والدينية والتى كان للعولمة وسرعة انتشار وسائل الإعلام والإعلان الفاضحة من مسموعة ومرئية ومكتوبة ، الأثر الأكبر فى نشر رذائل وموبقات وعادات وتقاليد شاذة ، لا تستقيم مع خلق قويم أو دين حنيف ، فأصبح للشواذ جنسيا محطات تليفزيون، ومواقع على الإنترنت ، فروجوا لأفكارهم السامة ومبادئهم الهدامة ، حتى أصبح الحرام له قدسية الحلال ـ حسب دعواهم ـ ولاشك أن هذه المتغيرات جعلت من الضرورى زيادة دور الأم والأسرة فى رقابة وتربية النشء ، فإن لم نفعل فقد يصبح الشواذ هم المربون والمعلمون والقدوة لأبنائنا ونعوذ بالله من ذلك .

المبحث الرابع

الادعاء بأن عمل المرأة للمشاركة فى التنمية ومساعدة الأسرة

إن هذا الادعاء الذى تردد مليارات المرات ، حتى ظنه الكثيرون حقيقة لا جدال فيها ، وهو فى حقيقته كذب صراح يتساوى مع من ينكر حقيقة الموت .

تقول فريدة النقاش فى ذلك : « إن التركيز على الأسرة التى لا تعمل فيها المرأة خارج منزلها يعنى أننا سوف نحرم التنمية الاقتصادية من نصف قوة العمل وهن النساء ، وليس صحيحًا ـ اقتصاديا على الأقل ـ أن عمل المرأة فى المنزل يقدم لها وللمجتمع عائداً أفضل ، ومعلوم أن الفائض الاقتصادى لأى بلد هو معيار أولى لدرجة نموه وقدراته الاقتصادية ، وفى الواقع العملى الراهن ، هل يمكن حقًا أن تنشأ أسرة سعيدة بدخل الرجل وحده ؟ »[1] .

كما تقول موضحة هدف النساء من العمل : « لكن نساء متزايدات يعملن لأنهن تعلمن ولأنهن يتطلعن بعد التعليم إلى الاستقلال الاقتصادى والزواج المتكافئ والأسرة التى تستطيع أن تلبى احتياجات كل أفرادها ورغبتهم فى مستوى معيشى كريم ، وتنهض على المودة والرحمة التى يدعو إليها الإسلام»[2] .

ونحن نقول :

قد يصدق قولها هذا فى حالة واحدة ـ وهى مستحيلة التحقق ـ وهى إذا كان المجتمع فى حاجة ماسة إلى عمل كل أفراده فى الأنشطة الاقتصادية ، ولا يوجد أى نوع من أنواع البطالة سواء المستترة أو الحقيقية والثابت علميا وعمليًا بعد التقدم التكنولوجى الهائل وإحلال الآلة الواحدة محل مئات العمال وإحلال الحاسب الآلى « الكومبيوتر » محل مئات الموظفين الإداريين والمحاسبين ، فقد تقلصت فرص العمل الحقيقية المتاحة لأفراد المجتمع .

وهذه النسبة تزيد فى الدول المتقدمة عنها فى الدول المتخلفة ، ونتج عن

---

(١) فريده النقاش : حدائق النساء ص ٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٥ .

ذلك فى الدول المتقدمة أن أصبح الملايين من الشباب الرجال المعدين للعمل عاطلين، مما دفع الدول إلى منحهم إعانات بطالة ، ناهيك عما تسببه البطالة من وقت فراغ لا يُسد إلا فى خدمة شيطان ، باللجوء إلى الزنا المحرم والخمور والمخدرات وما يدخل تحت ما يسمى بأمراض البطالة .

أما فى الدول المتخلفة :

فقد لجأت هذه الدول إلى البطالة المقنعة بمعنى تشغيل أعداد من العمال والموظفين أكثر من الحاجة الفعلية لهم ، وهذا ما تسبب فى تكدس المكاتب والمصالح الحكومية بالذات بأعداد هائلة من الموظفين والموظفات لا حاجة إليهم ، حيث إن العمل الفعلى يحتاج نسبة ضئيلة منهم ، وحيث إن ميزانيات الأجور فى هذه البلاد الفقيرة محدودة ، فقد تم توزيع الأجور على هذه الأعداد المبالغ فيها، وبالتالى تقلصت الأجور والمرتبات وأصبح الموظف والعامل من الفئات التى أطلق عليها تعبير جديد نشأ حديثا وهو : « محدود الدخل » ، ولو أننا كنا صادقين مع أنفسنا لعادت النساء العاملات إلى البيت وتم زيادة دخول الرجال بهذا الفارق ، فقضينا على البطالة المقنعة ، وأصبح دخل الأسرة هو نفس الدخل ، مع توفير مصروفات الإنفاق النسائية من تزين وملبس ومواصلات وغيره .

كما أن كل الدول تعانى أيضًا من البطالة الحقيقية ، فأصبح خريجو الجامعات رجالاً ونساء يتخرجون لا للعمل ولكن للحبس فى البيوت بلا أمل فى عمل أو كيان أو زواج ، وبالرغم مما تنفقه الدولة من أموال طائلة فى تشجيع الخريجين على العمل الحر وإقامة المشروعات الصغيرة ، إلا أن كل هذه المجهودات العظيمة تضيع سدىً لأنها تواجه مشاكل أكبر منها بكثير .

ولو أننا أنصفنا المرأة والمجتمع وعادت النساء للبيوت لتم حل مشكلة البطالة بنسبة تقترب من ١٠٠ ٪ . ولم تعد هناك حاجة إلى القول بضرورة مساعدة المرأة للأسرة .

هذا ويجب التنويه إلى أن عمل المرأة فى البيت له عائد اقتصادى ولكنه من العوائد الغير منظورة والتى تحسب ضمن الدخل القومى للبلاد ، ولكنه دخل غير منظور ، حيث إن المرأة لو غادرت البيت وحل محلها خدم ومربيات وغيره ، فإن

الأسرة حينذاك ستنفق دخلاً منظوراً أى محسوبًا ماليًا إن النتيجة التى وصلنا إليها اليوم من تحرر المرأة والعمل بلا داع وما أدى إلى البطالة للرجال والنساء على السواء ، أدت إلى نتائج سلبية فلم تعد فرص الزواج أمام البنات متاحة ، وذهب الزواج المتكافئ إلى غير رجعة ، لأن الشباب فى سن الزواج أصبحوا من العاطلين ، وأصبح كل بيت الآن فى كل الدول العربية والإسلامية يعانى من عنوسة أكثر من بنت وعزوبة أكثر من شاب ، وتهافتت الفتيات على الزنا السرى « الزواج العرفى » وسارعت الكثيرات للزواج من الشيوخ من الرجال ممن يملكون الإمكانات والمال ، وعاد المثل القديم إلى العصر الحديث فقيل : « ظل راجل ولا ظل حيطه » والتقى ربيع العمر مع الخريف ، وذلك هو عين الفساد .

وما زلنا نكذب ونقول اصطلاحات عفا عليها الزمن: « الزواج التكافىء ، مستوى معيشى كريم ، المودة والرحمة » وكل هذه خرجت من حياتنا مع خروج المرأة من بيتها لعمل هو ليس فى حاجة إليها وهى ليست فى حاجة إليه.

إن الحل الوحيد لمساعدة الأسرة هو تغيير نمط الإنفاق الاستهلاكى الذى تعودناه منذ سنوات طويلة ، والذى لا يناسب دولة نامية « متخلفة » ، فمهما زادت الدخول فإن متطلبات الحياة تزيد بنسبة أكبر ، وينتقل أفراد المجتمع من مستوى إنفاقى استهلاكى إلى آخر ، ومن ثم ستزيد وتتسع دائرة الفقر المفرغة ، ولن تصلح الأموال ما أفسدته العادات والتقاليد والأخلاق وخروج المرأة للعمل بلا داع .

ولعل هذه البيانات توضح لنا العلاقة الوثيقة بين البطالة للرجال وعنوسة النساء. وضعت حكومة / عاطف عبيد خطة لتعيين الخريجين ، والقضاء على البطالة ، وقد توقعت أن يتقدم لهذه الوظائف ١,٥ مليون عاطل وعاطلة ، ولكن ما حدث أنه قد سحبت ٧,٥ مليون استمارة طلب وظيفة ، تقدم منهم ٤,٥مليون حتى تاريخ طبع المجلة (١) ، والوظائف المتاحة ٢٠٠٠٠٠ وظيفة وقد لوحظ :

خمس المتقدمين خريجو سنة ١٩٨٢ مؤهلات متوسطة وعليا :

---

(١) مجلة المصور المصرية ـ العدد (٤٠١١) فى ٢٠٠١/٨/٢٤م، العدد (٤٠١٢) فى ٢٠٠١/٨/٣١م.

٣٨٪ من المتقدمين متزوجون .

٥٩ ٪ من المتقدمين غير متزوجين.

٣ ٪ أرامل ومطلقات .

٦٤٪ من المتقدمين أعمارهم من ٢٠ ـ ٣٠ سنة .

٢٦ ٪ من المتقدمين أعمارهم من ٣٠ ـ ٤٠ سنة .

هذا ، وفى تقرير رسمى للجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء ، نشر مؤخرا يتبين ما يلى [١] :

عدد الذين لم يسبق لهم الزواج فى مصر حاليا ٨,٩٦٢,٢١٣ مليون نسمة.

عدد الذكور الذين لم يسبق لهم الزواج ٥,٢٣٣,٨٠٦ مليون.

عدد الإناث الذين لم يسبق لهم الزواج ٣,٧٢٨,٤٠٧ مليون.

وهذه الإحصاءات توضح بجلاء العلاقة الوثيقة بين البطالة والعنوسة التى تعد توأمها.

فلو أتيحت فرص عمل لعدد ٥,٢٣٣,٨٠٦ مليون شاب لم يتزوجوا بعد ، وكان لهم حق الأولوية فى شغل الوظائف لكان فى ذلك الحل الأمثل لزواج ٣,٧٢٨,٤٠٧ أنثى لم تتزوج بعد ، ويؤكد ذلك أن نسبة الشباب المتقدمين للوظائف للفئة ٢٠ ـ ٤٠ سنة هى ٩٠ ٪ من عدد المتقدمين لشغل الوظائف الخالية أتمنى من الله وأدعوه صادقا مخلصا أن نكون صادقين مع أنفسنا .

---

(١) جريدة الجمهورية بتاريخ ١٢/ ١/ ٢٠٠٣م.